

مخصوصيات الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري وسبل حمايتها

بقلم: أ. مخلوف رملي

كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

مقدمة

الجزائري وعلى مختلف تقاليده الراسخة على مر الزمن، ذلك من خلال تأثيرات العولمة الوافدة على الهوية والمواطنة في ظل تجليات تغريب الذات وتهميش الشخصية وتعميم نوع آخر من ثقافة الاستهلاك المفعم بالقيم النفعية والثقافة الشعبية الغربية وغيرها من الثقافات الأخرى التي تنتشر اليوم بصورة سريعة بين مختلف فئات المجتمع الجزائري.

نحاول في هذا الموضوع طرح صيغ جديدة لإيجاد مخرج للمشكل، من خلال البحث في واقع هوية الأمة الجزائرية بأبعادها اللغوية والتاريخية والدينية، وكيف تعرضت هذه الهوية لأزمة اختراق من طرفها يسمى بالعولمة التي غيرت من خصوصيات المجتمع الجزائري وثقافته من خلال جدلية الأصالة والمعاصرة.

تواجه الجزائر أزمة الهوية الثقافية على غرار الدول العربية، التي تتعلق بالصراع ما بين قيم الأصالة وقيم المعاصرة، فبدلاً من الحدود الثقافية الوطنية والقومية التي تتميز بها المجتمعات المحافظة، تطرح إيديولوجيا العولمة حدوداً أخرى غير مرئية ترسمها الشبكة العنكبوتية والقنوات الفضائية بفرض الهيمنة على الأذواق والفكر والسلوك في الوطن العربي، فأكثر ما يلفت الانتباه في ظواهر العولمة في المجال الثقافي هو المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في هذه المجتمعات.

وقد ظهرت في المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة عدة تحديات طرحتها العولمة الثقافية على هوية الشعب

وعليه، وللحديث عن الهوية الثقافية في ظلال خصوصية وما يقابلها من تحديات العولمة، يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي: ما هي خصوصيات الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري وما هي السبل المقترحة لتعزيزها في ظل الصراع القائم بين قيم الأصالة وتحديات العولمة؟

واقع الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري

إن الهوية⁽¹⁾ لأي شعب أو أمة هي حصيلة الدين واللغة والفكر والتاريخ والفنون والآداب والتراث والقيم والعادات والأخلاق والوجدان ومعايير العقل والسلوك، وغيرها من مقومات التي تتميز بها الأمم والشعوب والمجتمعات، وليست كل هذه المكونات ثابتة بل بعضها يتغير حسب المستجدات الإنسانية والحضارية⁽²⁾.

ويرى محمود أمين العالم أن الهوية ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان والأخلاق، أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها.

فالهوية عنده تعتبر ذات أهمية في تشكيل الشخصية الفردية والمجتمعية،⁽³⁾ وهذا ما أكد عليه عابد الجابري حين رأى أنه «لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر:

1 - الوطن (الجغرافية والتاريخ).

2 - الدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة).

3 - والأمة (النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة).

والهوية نوعان مثلما يطرحها الكاتب الجزائري أحمد بن نعمان في مؤلفه «الهوية الوطنية: الحقائق والمغالطات»⁽⁴⁾ هما:

1 - الهوية الفردية: وهي تعتمد

أساسا على المميزات الجسدية التي تميز كل كائن بشري عن الآخر من بين ملايين البشر في المعمورة، وأبرز مثال على ذلك بصمات الأصابع التي تحدد أو تثبت هذا الاختلاف علميا.

2- الهوية الوطنية أو القومية:

نسبة إلى الوطن أو الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص لهويته. حيث يعرف أحمد بن نعمان كتعريف إجرائي للهوية الوطنية أو القومية فيقول: «إن هوية أي أمة من الأمم هي مجموعة من الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى»⁽⁵⁾.

إن الهوية ببساطة التعريف عبارة عن مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي، وطالما هي مركب من عناصر، فهي بالضرورة متغيرة، في الوقت ذاته تتميز فيه بثبات معين، فالهوية منظور لها سوسيولوجيا متغير من المتغيرات ومن هنا ينشأ مفهوم «أزمة الهوية» نتيجة تعرضها لمتغيرات. فالأزمة ليست في الهوية ذاتها بل في العقل وقدرته على استيعاب المتغيرات⁽⁶⁾.

والواقع أن مسألة ثبوت الهوية أو تغييرها في الجزائر قد طرحت على محك

المساءلة والنقاش، وأثبتتا المجادلات العلمية أن هوية أي مجتمع ليست أمراً ثابتاً وسرمدياً كما ذهب إلى ذلك المفكر المغربي محمد عابد الجابري، بل يرتبط بالمؤثرات الخارجية وبالتداول العلمي للأفكار والثقافات كما يرتبط بالصراع على السلطة، وهي الصراعات التي تشحذها هي نفسها بصورة مباشرة أو غير مباشرة المؤثرات الخارجية ولعبة التوازنات. لكن يبدو أن تغير الهويات ينبغي أن يخضع لقانون التوازن بين الثوابت المميزة للهوية والعناصر القابلة للتحويل، وإلا كانت الهوية عرضة للخطر والتدمير. فالهوية تتضمن مكونات ثابتة وأخرى قابلة للتغيير. إذ يعتبر الدين واللغة من الثوابت الراسخة، بينما تكون المكونات الأخرى من عادات وقيم وطرق التفكير قابلة للتغيير في الشكل الإيجابي الذي تحدده حركة المجتمع وتفاعله بمحيطه الخارجي⁽⁷⁾.

ثانيا- مكونات الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري

إن الهوية الثقافية لمجتمع ما لا بد وأن تستند إلى أصول تستمد منها استمرارها، و إلى معايير قيمية ومبادئ

نواحي الحياة فيه لأنها من أهم مقومات وحدة الشعوب.

واللغة العربية من الركائز الأساسية للوجود العربي، فالوحدة اللغوية والثقافية بين البلاد العربية لا تتم إلا بالمحافظة على اللغة العربية التي تؤدي إلى وحدة الشعور والفكر، كما كانت اللغة العربية هي الجسر الذي عبر عليه العرب والمسلمون جيلاً بعد آخر لتحقيق التواصل، لهذا كانت اللغة العربية وما زالت جوهر الهوية الثقافية، فهي لغة القرآن، كما أنها لغة ثرية في محتواها ومفرداتها، وقد حافظت اللغة العربية على استمرارية الأمة العربية.

ومن المؤكد أن إتقان اللغة العربية يساعد على الانسجام والتناغم بين أفراد المجتمع، بل والاعتزاز بهويتهم، لأن أبناء اللغة الواحدة يشكلون قوالب فكرية وثقافية مشتركة، لذا فاللغة والثقافة تسهم مساهمة فعالة في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية والإسلامية⁽⁹⁾.

إن العلاقة بين اللغة وبين الهوية الثقافية علاقة قوية لا تنفصم، ولهذا كان من أهم مقاييس رقي الأمم مقدار عنايتها بلغتها تعليماً ونشراً وتيسيراً

أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزاً للاستقطاب العالمي والإنساني⁽⁸⁾.

يمكن تحديد مكونات ومقومات الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع الجزائري في اللغة والدين والتاريخ والتراث والعادات والتقليد والأعراف وغيرها من المكونات الثقافية ذات السمة العربية والإسلامية.

وتتحدد الهوية الثقافية في مجموعة من المقومات الأساسية المتجسدة في:

1 - اللغة

تعد اللغة هي المكون الأول والرئيسي في الهوية الثقافية، فهي حياة الأمة وهي بدايتها ونهايتها، لأن اللغة في أي مجتمع ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصيات هذا المجتمع، وبالتالي فالحفاظ على اللغة يعني ضمان بقاء واستمرارية أي مجتمع. فاللغة جزء لا يتجزأ من ماهية الفرد وهويته، كما أنها تتغلغل في الكيان الاجتماعي والحضاري لأي مجتمع بشري، وتنفذ إلى جميع

التوحيد بمعناه الشامل يمثل أبرز ملامح هويتنا الثقافية، والتدين هنا لا يعني ممارسة الشعائر الدينية وحدها، بل هو موقف من ثوابت كثيرة، منها ما يرتبط بالأسرة وكيفية تكوينها بشكل صحيح، فهذا مكون رئيسي من مكونات الهوية الثقافية، ومنها ما يرتبط بالمنهج العلمي الذي اعتمد على العقل والوحي بشكل متوازن، وهذا يمثل أيضا مُلمحاً من ملامح هويتنا الثقافية⁽¹⁰⁾.

3- التاريخ

يُميز التاريخ الجماعات البشرية بعضها عن بعض بكل ما يحمله هذا التاريخ من ماضي وذكريات وآمال مما يخلق شعور لدى الجماعة بأنهم ينتمون إلى أمة واحدة، لهذا يعتبر التاريخ المشترك عنصراً مهماً من العناصر المكونة والمحافظة على الهوية الثقافية. كما أن التاريخ بين حقيقة الاستعمار المتجدد في العولمة الثقافية، والتاريخ هو من بين عناصر الهوية، باعتباره يدرس الماضي ويقف على الحقائق وتستند إليه الدول والشعوب للتطلع لبناء الحاضر والتطلع إلى المستقبل⁽¹¹⁾.

لصعوباتها، ونظراً للأهمية القصوى للغة العربية، وكونها عنصراً رئيساً من عناصر الهوية الثقافية، تعرضت لحملات كثيرة للقضاء عليها، بغرض القضاء على الهوية الثقافية.

2- الدين

لا يمكن تصور وجود للهوية الثقافية العربية إلا بوجود الدين الإسلامي باعتباره سمة مميزة للمجتمعات العربية والإسلامية، وأداة المسلمين لمقاومة الاغتراب الثقافي، وبالتالي فأي هجوم على الإسلام هو بمثابة محاولة استلاب للهوية الثقافية والحضارية للأمة العربية.

إذن، تستمد الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري مقوماتها من الدين الإسلامي الذي يدعو إلى الحق ويتخذ من الإنسان موضوعاً له، فالخطاب القرآني موجه للناس جميعاً. والدين هو المكون الأول لهويتنا الثقافية، لأنه هو الذي يحدد للأمة فلسفتها الأساسية عن سر الحياة وغاية الوجود، كما يجيب عن الأسئلة الخالدة التي فرضت نفسها على الإنسان في كل زمان ومكان، فالإسلام له تأثيره العميق والشامل في الهوية الثقافية للدول العربية، كما أن

المفكرين والعلماء والمثقفين والقادة في دول العالم، خاصة في عصر العولمة الذي ترك أثارا نفسية نتج عنها تحول في الهوية الوطنية بشتى مظاهرها وقيمها. فمشكلة الهوية لم تناقش إلا في زمن العولمة إذ لم يكن لها وجود قبل ذلك.

وبالتالي، يوجد بين مفهومي الهوية والعولمة علاقات جدلية فريدة من نوعها في طبيعة العلاقة بين المفاهيم، إنهما مفهومان متجاذبان متقاطبان متكاملان في آن واحد، وفي دائرة هذا التجاذب والتكامل يأخذ مفهوم الهوية على الغالب حسب تعبير الدكتور علي وطفة «دور الطريدة» بينما يأخذ مفهوم العولمة دور «الصيد»⁽¹³⁾.

ففي ظل تجليات العولمة الثقافية والاجتماعية وتأثيراتها الوافدة على تغريب الذات وتهميش الشخصية وتعميم نوع آخر من ثقافة الاستهلاك المفعم بالقيم النفعية والثقافة الشعبية الغربية وغيرها من الثقافات الأخرى التي تنتشر اليوم بصورة سريعة بين الفئات الاجتماعية المختلفة، قد يتحول الإنسان العربي إلى مواطن مغترب عن ذاته وعن وطنه وعن قيمه الأصيلة. وفي ضوء ما سبق، تتحدد

إن تاريخ الأمة الجزائرية من تاريخ الأمة الأمازيغية الضاربة في أعماق تاريخ منطقة شمال إفريقيا، ذلك التاريخ الذي صنعه أجدادنا من ماسينيسا إلى يوغرطة، وخلقوا مجدا مثلته دولة النوميديين، وترجمه سانت أوغسطين في مؤلفاته الفلسفية الكبرى.

لقد استطاعت هذه الحضارة أن تستوعب الكل وتحافظ على هوية شمال إفريقيا رغم محاولات الغزاة التي تحطمت على أسوار هذه الأمة فمن الفينيقيين إلى الرومان ثم الوندال فالبرنطيين فالعرب والترك والفرنسين كلهم مروا من هنا، لكن نضالات شعوب المنطقة استطاعت أن تكون حصنا متينا، فقد استوعبت ولم تستوعب، واحتوت ولم تحتوي، وبذلك حق للمؤرخين أن يقولوا أن شمال إفريقيا ملتقى الحضارات، والوعاء التاريخي الذي جمع مختلف الثقافات، دون أن يؤثر ذلك على هويته الثقافية والاجتماعية، بل شكل ذلك رافدا وإضافة لم تعرفها بقية المجتمعات⁽¹²⁾.

ثالثا- تهديدات العولمة الثقافية لمكونات هوية المجتمع الجزائري

شغلت قضية الهوية الثقافية بال

مشكلة جل الدارسين في بحث واقع هوية الشباب العربي الثقافية، في ظل تحديات العولمة⁽¹⁴⁾.

لقد تعرضت هويتنا الثقافية الجزائرية لأزمة، ومما ساعد على اتساع هذه الأزمة جمود الثقافة لدى الشعب الجزائري وفقدان حيويتها وفعاليتها، وتجاهل المجتمعات العربية ضرورة تجديد ثقافتها، وتأهلها للحوار والتفاعل مع الثقافات الأخرى، بالإضافة إلى أن الثورة المعلوماتية اختصت بمجتمعات بعينها، وعند انتقال تأثيرات هذه الثورة إلى المجتمعات العربية انتقلت معها ثقافة مجتمعاتها وأنماط معيشتها وسلوكياتهم، الأمر الذي نتج عنه تبعية ثقافية وسياسية واقتصادية نظرا لعدم التكافؤ بين المجتمعات القوية وبين المجتمعات الضعيفة⁽¹⁵⁾.

وهذا هو حال الأمم الضعيفة التي لا تملك حاضرا موصولا بماضيها، وهنا تسلك أحد طريقين: إما أن تفزع نحو ماضيها متمسكة به وداعية إلى ممارسة الحياة على أساس منه، وإما استعارة حاضر غيرها وممارسة الحياة على أساس منه، وعندئذ يبدأ الصراع بين القديم

وبين الجديد، بل سيحاول البعض البحث عن سند للجديد من القديم، وهذا التوفيق قديخف من حدة الصراع، ولكن لن يكسب الأمة حاضرا تصنعه هي، بل ستظل تستعير حاضرها غيرها وتبني له أساسا واهيا من تراثها، وهذا هو مركز الأزمة التي تعانيها الهوية الثقافية العربية⁽¹⁶⁾.

لقد ظهرت أنماط حياتية جديدة، وبرزت مجموعة من القيم العالمية مقابل القيم المحلية، وتنامي انتشار اللغات العالمية مقابل اللغة المحلية وغيرها من التحديات التي فرضت نفسها على الهوية الثقافية العربية، وبسبب كثافة وخطورة الاختراق الثقافي الذي يتعرض له نسق القيم والثقافة بصفة عامة في المجتمع العربي، كما أن المؤسسات التربوية التقليدية (الأسرة والمدرسة)، لم تعودا قادرتين - وفق صيغ أدائهما الحالية- على حماية الأمن الثقافي للمجتمع، والإيفاء بحاجات أفرادها من القيم والرموز والمعايير والمرجعيات التي أصبحت تصاغ خارج حدود الثقافة الوطنية، الأمر الذي ترتب عليه مساس بالأمن الثقافي ومكونات الهوية، بحيث صارت المؤسسات التربوية والتعليمية

والإعلامية - بشكلها التقليدي الحالي - غير قادرة على القيام بوظائفها للحفاظ على الهوية الثقافية⁽¹⁷⁾.

في ظل العولمة، ازداد تعرض اللغة العربية لمحاولات التدويب والقضاء عليها، حتى صار الشباب يتفاخر بتناقل الألفاظ والمصطلحات بلغات أجنبية، وصارت أسماء المحلات التجارية تكتب باللغات الأجنبية، وغيرها من السلوكيات التي تنبئ بخطورة الأمر، خاصة في ظل الانفتاح الإعلامي والثورة الهائلة في علم الاتصالات.

وعلى المستوى الاجتماعي، تؤثر العولمة على الهوية الثقافية من الناحية الاجتماعية للشعوب والأفراد من خلال أنها مشروع غير أخلاقي ومشروع فاسد تتميز بالثقافة المادية بإفراغ المجتمعات من رفعة الأخلاق وسموها، وبقطع الانتماءات، وهي عولمة تؤزم الأسر وروابطها بتفكيكها وبزراع المشاكل وبث الانحراف ولا مكانة لصلة الرحم والنسب والإرث الشرعي فيها⁽¹⁸⁾.

إن العولمة المعاصرة قد أفرزت تهديداً ثقافياً، وهذا التهديد الثقافي والديني قد يؤدي أيضاً إلى فرار الناس إلى

الدين، يلوذون به، ويحتمون بعقائدهم لدرجة التعصب والعنف والقتال، لأنهم يشعرون أنهم مهددون في أعز شيء عندهم، ولشدة خوفهم من الاستئصال والانسلاخ قصراً عن معتقداتهم، لأن الصراع يسهل أن ينشأ عندما يشعر الإنسان أنه مهدد في جانب من ذاتيته⁽¹⁹⁾.

إن الواقع يشير إلى أن في أكثر من موطن وبلد في العالم عنده نوع من «هستيريا الهوية» ويتمثل ذلك في عدم اندماج الفرد بسهولة وبشكل طبيعي، كما كان الأمر في الأمس في علاقاته مع الأسرة والعمل مع الجماعة والأمة. فمحاولة تنميط سلوكيات البشر وثقافتهم في المجتمعات كافة وإخضاعها لقيم وأنماط سلوك سائدة في ثقافات معولمة، أمر يحمل إمكانية تفجير أزمة هوية ثقافية التي أصبحت من المسائل الرئيسية التي تواجه المجتمعات الإسلامية، فأخطر التحديات هو ما قد تتعرض له المكونات الأساسية للهوية الثقافية متمثلة في الإسلام واللغة العربية والقيم الثقافية، فمن الثابت أن العولمة تعتمد على اللغة الانجليزية، كما أن صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي المهيمن على الساحة الدولية لا

تطرح إيديولوجيا العولمة حدودا أخرى غير مرئية ترسمها الشبكة العنكبوتية والقنوات الفضائية بفرض الهيمنة على الأذواق والفكر والسلوك، فأكثر ما يلفت الانتباه في ظواهر العولمة في المجال الثقافي هو المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم، فقد أصبحت الموسيقى والبرامج التلفزيونية والمسلسلات، والأفلام السينمائية الأمريكية منتشرة في أرجاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة والمشروبات وغيرها من السلوكيات الاستهلاكية التي انتشرت على نطاق واسع، ويبدو أنها تعتمد في نشر نمطها الثقافي على تفوقها التقني وهيمنتها السياسية والعسكرية⁽²³⁾.

لقد سيطر النظام السمعي البصري للعوالم الثقافية والمتمثل في آلاف القنوات الإعلامية التي تبث في كل لحظة مئات الصور والتي يستقبلها الجمهور في سائر أنحاء العالم إذ محتوى هذه الرسائل ليس مجرد صور بل إنه تسويق لطريقة معينة من التفكير وتشكيل الوعي والإدراك وكيفية جديدة لإنتاج القيم والرموز مما يشكل خطرا على

تعبير عن الواقع بالإضافة إلى أن الإعلام الغربي يتعامل مع العرب بحكم علاقات الاستعمار والتبعية⁽²⁰⁾.

وهكذا...بات واضحا أن مخاطر العولمة تمس بشكل مباشر ميدان الثقافة والحضارة، بل يمكن أن تتجه نحو صراع الحضارات، فالسعي إلى فرض هيمنة ثقافة واحدة تكون نتيجته إما انتهاء الثقافة الأضعف وذوبانها، أو تفوقها حول نفسها، أو تفجيرها وتفتيتها لصالح جماعات داخلية أو خارجية، الأمر الذي أدى إلى انقسامات عرقية وطائفية، ثم صراع الثقافات في النهاية، وبالتالي التأثير سلبيا على الهوية الثقافية للمجتمع⁽²¹⁾.

إن مما يزيد خطورة العولمة ضعف العالم الإسلامي وهزيمته أمام الغرب وهذا ما يزيد اختراق العولمة الثقافية للهوية، كما قال ابن خلدون «المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده»⁽²²⁾.

دور تكنولوجيا الإعلام في تغيير الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري

تلعب ثورة الاتصالات دورا أساسيا في إحداث هذا التأثير الثقافي، فبدلا من الحدود الثقافية الوطنية والقومية

الهوية الثقافية للشعوب المستقبلية لهذه الرسائل الإعلامية والتي لا تشارك في صناعتها لضعف إمكانياتها المادية والتكنولوجية وخاصة فئات الشباب الذي أصبح يعيش نوعا من الاغتراب داخل مجتمعه.

لقد غيرت تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة البيئة التي يعيش فيها الشباب عن تلك التي كانت منذ زمن، فإذا كانت هذه الوسائل غيرت من أسلوب حياة المجتمعات العربية ووقت فراغها وعلاقات أفرادها مع الأسرة والأصدقاء فكيف سيكون للأجيال الجديدة التي ستعيش في بيئة من الوسائل المعلوماتية الأكثر تطورا بما لا يقاس بحاضر هذه الدول، وماذا سيحدث للخصوصيات والهويات المميزة بالصيغة التي تفكر فيها هذه المجتمعات اليوم؟

لقد أصبح الشباب الجزائري في عصرنا الحاضر عبيدا لما تقدمه له القنوات الفضائية ومواقع الانترنت والهواتف المحمولة من برامج ومحتويات، كما أنه أصبح يقلد كل ما يشاهده عبر هذه الوسائط، من سلوكيات وعادات وتقاليده سواء كانت مفيدة أم مضرة

بالنسبة له، وذلك تحت شعار الموضة والتفتح على الآخر ومواكبة تطورات العصر، وما نشاهده اليوم في من انحلال للأخلاق وانتشار للعلاقات غير الشرعية داخل المؤسسات التعليمية وأيضا انتشار للجريمة والعنف والاعتصاب والغش والرشوة والمخدرات وتبادل الصور الإباحية بين الشباب خير دليل على مخاطر وسلبيات القنوات الفضائية وشبكة الانترنت والهواتف المحمولة وغيرها من الوسائط الإعلامية الحديثة. ولهذا يري العلماء أن الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية أصبح التحدي المطروح على المجتمعات العربية بشدة في عصر السماوات المفتوحة التي تكتظ بالأقمار الصناعية التي تحمل مئات القنوات التلفزيونية من كل أنحاء العالم بما تنطوي عليه من تأثيرات مختلفة تشكل الفكر والوجدان للشباب على حد سواء، فالإحساس بالخطريستلزم البحث عن الهوية والانتماء حتى لا تتعرض هذه المجتمعات للصراع.

طرق المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري

من جملة السبل المقترحة التي تهدف

دراسات

ونوادي الكتاب من أجل تكوين الذات وتحسينها جيدا لتكون حصنا متينا يصد سلبيات العولمة الثقافية، ومن أجل تمجيد القيم الحسنة والفاضلة، والقيم فوق الحسية⁽²⁵⁾.

النهوض باللغة العربية باعتبارها هي أبرز مظاهر الثقافة العربية، وأزمة اللغة المعاصرة هي أزمة الهوية الثقافية في الوقت ذاته، فاللغة هي أداة التعلم والتفكير، كما أنها تمثل ذاكرة الأمة، فاللغة العربية هي «الهوية بحق»، فهي أدأنا لكي نصنع المجتمع واقعا، وثقافة كل أمة كامنة في لغتها ومعجمها، واللغة العربية هي أكثر لغات العالم ارتباطا بالهوية، وهي اللغة الوحيدة التي صمدت 17 قرنا سجلا أميناً لحضارة أمتنا في ازدهار، وشاهدا على إبداع أبنائها⁽²⁶⁾.

الالتفات إلى التراث العربي الإسلامي لإعادة قراءته وتكييفه ثم توظيفه بالشكل الذي يجعلنا نستفيد منه في ظل العولمة الثقافية الحاصلة، بجعله نقطة قوة تحمي الهوية الثقافية وباعتباره عنصرا هاما من عناصرها، وليس نقاط ضعفها⁽²⁷⁾.

إلى الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري هي:

الإيمان الحقيقي، وذلك بإيمان أفرادا ومجتمعات بما يتماشى وحضاراتهم ومعتقداتهم ونمط حياتهم وإيمانهم بالانتماء لمجتمع ما في كل جوانب خصوصياته، كما هو في الإيمان في الأمة الإسلامية بالإيمان بالله وبالرسالات السماوية، فقيم المسلم مستمدة من وحي الله تعالى.

بناء الوحدة الوطنية على أساس المواطنة من شأنه أن يعمل على تحقيق الاندماج والتلاحم والتعايش بين عناصر المجتمع وذلك بمزج الجماعات المختلفة والمتمايزة بعضها عن بعض بخصائص ذاتية في نطاق سياسي واحد تسيره سلطة مركزية عادلة وبقوانين تطبق على كل أجزاء الوطن بمن فيها. مما يخلق هوية وطنية مشتركة فيما بين المواطنين تكون قادرة على مواجهة المشكلات والتحديات التي باتت ملازمة لبنية أكثر دول العالم الثالث⁽²⁴⁾.

تكاتف وتعاون الناس جميعا لأي أمة وخاصة مؤسسات التربية والتكوين والوزارة المعنية ودور الثقافة والمساجد



والمواد الاجتماعية التي تدعم الهوية الوطنية الثقافية⁽²⁹⁾.

- الاهتمام بتطوير مناهج تعليم التاريخ العربي والإسلامي، فبدلاً من أن تركز بشكل رئيس على عرض التاريخ في شكل حروب وصراعات وخلافات، فلا بد من الاهتمام بعصور السلام والازدهار والرقى والتطورات الاجتماعية التي أحدثها الإسلام في البلاد التي دخلها، وأنارها بنوره، والحديث عن تأثير كبار المفكرين والفلاسفة العرب والمسلمين مثل ابن رشد، وابن سينا، والفارابي، وابن النفيس، وغيرهم كثير ممن أثروا الحياة الفكرية وأسهموا في إحداث التقدم والازدهار الحضاري للمجتمع العربي والإسلامي⁽³⁰⁾.

- تفعيل دور الرسالة الإعلامية الهادفة في صون الهوية الثقافية من أجل انتشار ظاهرة الاغتراب التي يعيشها المواطن الجزائري الذي بات يعيش في فضاء غريب عنه بعيد عن بيئته الطبيعية وهويته الأصلية الحقيقية في ظل تنامي ظاهرة الغزو الثقافي الأجنبي الذي تغذيه وسائل الإعلام في صورها المختلفة، وأصبح بذلك بعيد كل البعد

التوعية والإعلام وذلك من خلال وسائل التنشئة الاجتماعية والسياسية التي تعزز الروابط والصلات بين أبناء المجتمع من جهة وبينهم وبين النظام السياسي من جهة ثانية⁽²⁸⁾.

إصلاح المنظومة التربوية لمواجهة مظاهر الخلل الثقافي، من خلال المطالبة بالحفاظ أكثر على ثقافة المواطنين المعرضة للتدهور والاندثار، وأن تعمل على التأكيد على الهوية الثقافية للمجتمع؛ لأن التعليم يشكل حجر الزاوية في تشكيل الهوية الثقافية وفي تعزيزها والحفاظ عليها لكل شعب من الشعوب. وعليه، وللتصدي للغزو الثقافي المعولم يجب الارتكاز على المرجعية الحضارية للشعوب والأفراد.

وفي هذا الصدد، يشير سعد الدين إبراهيم إلى دور التعليم في تدعيم الهوية بقوله «من المفترض أن تقوم المدرسة بدور يعتد به في بث وتنمية الوعي والهوية لدى الطفل العربي، ففي رحابها يتعلم الأطفال لغتهم العربية كتابة وقراءة، ويكتسبون قواعدها، ويكتشفون وظائفها التعبيرية لا سيما من خلال الأناشيد والقصص ودروس القراءة

وأنماط سلوك سائدة في ثقافات أخرى لمجتمعات حديثة، الأمر الذي يحمل إمكانية تفجير أزمة الهوية الثقافية التي أصبحت من المسائل الرئيسية التي تواجه المجتمعات العربية.

وعليه، وسعيًا منها في الحفاظ على هويتها يجب علينا نحن كمسلمين، لا بد من تدعيم مبدأ المواطنة وخلق مادة إعلامية هادفة غايتها ترسيخ القيم الأصيلة لهذا المجتمع في نفس الوقت الذي تطلع فيه شعوبها على ثقافات غيرهم من الشعوب للاستفادة من جوانبها الإيجابية، فمواجهة الآثار السلبية للعوامة على الهوية لا يتأتى عن طريق الانغلاق وصد الأبواب لأن هذا دليل على ضعف الهوية في حد ذاتها ضعف يقود إلى الانكفاء على الذات ورفض التعايش وعدم الإقرار بالتنوع والاختلاف.

قائمة المراجع والهوامش:

1 - الهوية لغويا مأخوذة من "هُوَ..هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته، أما اصطلاحاً فإنه يصعب إيجاد تعريف محدد لها بسبب تعدد المدارس الفكرية التي تناولت الموضوع، بالإضافة إلى سعته وشموليته، فالهوية مفهوم

عن العالم الحقيقي، وهذا ما يؤدي في نهاية المطاف إلى انفصام وازدواج الشخصية وانجراف واندحلال وذوبان في عالم الآخر على حساب النسيج القيمي والأخلاقي والموروث الثقافي والاجتماعي. وعليه، وحتى يقوم الإعلام بدوره الاستراتيجي في الحفاظ على الهوية الوطنية ونشر مقوماتها وأسسها ومبادئها في المواطن يتوجب عليه أن يقدم الرسالة الهادفة الملزمة الحرة والمسؤولة محليا ودوليا.

خاتمة:

إن الحقيقة التي يغفل عنها العديد، هي أن هويته الثقافية للمجتمع الجزائري تتعرض لأزمة انسلاخ من الجذور، ومما ساعد على اتساع هذه الأزمة هو جمود ثقافتنا وفقدان حيويتها وفعاليتها، وتجاهل المجتمع ضرورة تجديدها، بالإضافة إلى أن الثورة المعلوماتية اختصت بمجتمعات بعينها، الشيء الذي أسفر عن ما يسمى بهاجس الخصوصية في الهوية الثقافية والوطنية والمرادف لهاجس الأصالة والمعاصرة ومحاولة تنميط سلوكيات البشر وثقافتهم في المجتمعات كافة و إخضاعها لقيم

- له دلالاته اللغوية واستخداماته الفلسفية والاجتماعية والنفسية والثقافية. ونكتفي بتعريف سعيد إسماعيل علي للهوية بأنها "جملة المعالم المميزة للشيء التي تجعله هو هو، بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء، ولكل منا - كإنسان - شخصيته المميزة له، فله نسقه القيمي ومعتقداته وعاداته السلوكية وميوله واتجاهاته وثقافته. وهكذا الشأن بالنسبة للأمم والشعوب".
- 2 - ورم العيد، "البعد الثقافي للعوامة وأثره على الهوية الثقافية للشباب العربي: - الشباب الجامعي الجزائري نموذجاً"، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني، جامعة البشير الإبراهيمي، برج بوعريرج، الجزائر، ص 9
- 3 - هاني محمد يونس موسى، "دور التربية في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع العربي"، جامعة بنها، كلية التربية، مصر، ص 02
- 4 - أحمد بن نعمان، "الهوية الوطنية: الحقائق والمغالطات"، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والإشهار، الجزائر، برج الكيفان، 1996، ص 11.
- 5 - نفس المرجع، ص 11.
- 6 - نفس المرجع، ص 09
- 7 - أسماء بن تركي، الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيرات السوسيو ثقافية للمجتمع الجزائري"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي الوادي، الجزائر، ص 484
- 8 - هاني محمد يونس موسى، مرجع سابق، ص 02
- 9 - نفس المرجع، ص 13.
- 10 - نفس المرجع، ص 14.
- 11 - زغو محمد، " أثر العوامة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الطبعة 04، الجزائر، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، كلية العلوم القانونية والإدارية، 2010، ص 95.
- 12 - محفوظ رموم، رؤية تاريخية استشرافية لظاهرة العنف في الجزائر، موقع الأرنتروبوس، الجزائر، الموقع الإلكتروني: <http://www.aranthropos.com>
- 13 - ورم العيد، مرجع سابق، ص 9.
- 14 - نفس المرجع، ص 9.
- 15 - هاني محمد يونس موسى، مرجع سابق، ص 16.
- 16 - نفس المرجع، ص 16.
- 17 - نفس المرجع، ص 7.
- 18 - زغو محمد، المرجع السابق، ص 98.
- 19 - خالد بن عبدالله القاسم، " العوامة

دراسات

- الثقافية وأثرها على الهوية"، الرياض، جامعة الملك سعود كلية التربية، ص 23
- 20 - نفس المرجع، ص 9.
- 21 - هاني محمد يونس موسى، مرجع سابق، ص 18.
- 22 - عبد الرحمن بن خلدون، "مقدمة ابن خلدون"، (ترجمة دار الكتاب العربي) الطبعة الخامسة بيروت: دار الكتاب العربي، ص 147
- 23 - وادم العيد، المرجع السابق، ص 9.
- 24 - علاء الدين عبد الرزاق جنكو، "المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة"، جامعة التنمية البشرية في السلیمانیة، كوردستان العراق، ص 58.
- 25 - زغو محمد، المرجع السابق، ص 100.
- 26 - هاني محمد يونس موسى، مرجع سابق، ص 29.
- 27 - وادم العيد، المرجع السابق، ص 9.
- 28 - علاء الدين عبد الرزاق جنكو، مرجع سابق، ص 58.
- 29 - هاني محمد يونس موسى، مرجع سابق، ص 5.
- 30 - نفس المرجع، ص 7.